أيها الإخوة كفى ما كان.. وتعالوا إلى كلمة سواء..

د. سيد نوفل

لا يستطيع الأخ أن يجمد ويصمت حين يرى أخاه – وإن جار – تحيق به المخاطر وتهدده المهالك. وهذا هو شأن المصري العربي في أروع انتصاراته التاريخية وإنجازاته الوطنية والقومية.. يحزنه أشد الحزن أن يرى أشقاءه العرب في شتات وتمزق وتقاتل، وأن يرى بعضهم يلقون بأيديهم إلى التهلكة.

ولهذا يرى المصريون، قادة وشعبا، أن من واجباتهم أن يحذروا إخوتهم وينبهوهم في صدق وإخلاص. وأن يضاعفوا جهودهم في العمل من أجل الخير المشترك بينهم وبين الذين ناصبوهم القطيعة والعداء ظلما بغير حق.. والمصريون العرب يؤكدون بذلك إيمانهم بوحدة القضايا والمصالح العربية.. ويثقون بأن طبائع الأشياء لابد أن تفرض نفسها مهما ألم بها من عوج وانحراف..

ولقد دارت حركة الرفض مع الأرض دورتين.. ثم عادت إلى مصير الشقاق في طرابلس هذه الأيام.. مثلما خرجت منه في مؤتمر طرابلس في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٧٧..

وكانت الحركة معلقة عليه وعلى الرئيس حافظ الأسد.. وانضمت إليها حكومة اليمن الديموقراطية دورانا في الفلك السوفيتي.. وحضرها الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين تأييدا لموقفه في حرب الصحراء الغربية.. وأكرهت منظمة التحرير الفلسطينية على التحالف مع جورج حبش وأنصاره ومع الإرهاب الدولي.. وأعلنت حركة الرفض الحرب على مصر وفلسطين معا، وعلى جهود السلام العادل في الشرق الأوسط... ونأت عنها الضغوط العربية وأنكرت مجافاتها للشرعية العربية والدولية. ولكنها استطاعت، بالإرهاب والوعد والوعيد والفتن الداخلية العربية وأحداث المنطقة، أن توسع نطاقها وتنشر في عالمنا العربي وباءها..

وكان أول ضحايا الرافضين الإرهابيين الكاتب الجندي المصري يوسف السباعي.. فقد قتل شهيدا في قبرص، وهو يجاهد في ندوة دولية من أجل قضية فلسطين.. ونعاه في أسى – صادق أو غير صادق – الرئيس القبرصي سبيرو كبريانو... وبكى الشعب المصري والشعوب العربية كلها والأحرار في كل مكان..

وفي هذه الأيام تعود حركة الرفض العربية لبنة سورية كما بدأت.. وتلفه حماس القطائع الأجنبية لدعمها. وذلك بعد أن سقطت أهدافها، وتمزقت من داخلها، وانعزل منها الرفض العراقي حليفها.. كما فقدت دواعي المسايرة العربية لها.. وذلك بعد أن تباعدت عن المواقف والأهداف والمبادئ العربية العامة.. وأصبحت في واد والعالم العربي والعالم أجمع في واد آخر.. وإن بقيت فهي صورة حائلة مظهرية لا تلبث عن قريب أن تتلاشى وتزول..

وكذلك جدد العقيد القذافي – في هذه الأيام – إعلان حربه الإرهابية على مصر وفلسطين معا.. وكما جمع الإرهابيين بليبيا في نهاية عام ١٩٧٧، وهدد الفلسطينيين والمصريين وسائر العرب بهم – فإنه قد جمعهم بليبيا كذلك في هذه الأيام وضاعف تهديداته المسعورة بهم.. وتسقط ضحيات للعصابة الإرهابية الرافضة في قبرص ثانيا.. وهما في هذه المرة فدائيان فلسطينيان: إبراهيم عبد العزيز وسمير طوقان.. ونعاهما كذلك في أسى – صادق أو غير صادق – الرئيس القبرصي سبيرو كبريانو..

وتشكو الآن منظمة التحرير الفلسطينية مر الشكوى من حرب القذافي المعلنة على شعب فلسطين وقضيته: القضية العربية الأولى.. وتدين إغلاقه لمكاتبها وإبعاده ممثليها من الأراضي الليبية وسعيه لإحداث المزيد من الفرقة في صفوف الفلسطينيين.. كما تؤكد أن حرب القذافي الحالية على قضية فلسطين ودفاعه عن مواقف أعدائها ليست جديدة... إنما تعود إلى عام ١٩٧٥

والحق الذي لا ريب فيه هو أن الحقبة القذافية مظلمة طوال السنوات العشر التي منيت فيها الأمة العربية بشذوذ العقيد وطغيانه.. والحق أنه أصبح يمثل رأس المثلث الإرهابي الدولي في المنطقة العربية.. مثلما يمثل حافظ الأسد وعبد الفتاح إسماعيل طرفي قاعدته.

□□□

ويستوقف النظر في هذا المعترك استنكار منظمة التحرير الفلسطينية الشديد لتدخل القذافي في شئون منظمة التحرير الفلسطينية، ومحاولته الجائرة فرض الوصاية والإرهاب عليها وضرب بعض الفلسطينيين ببعض، واستخدام المال في سبيل تنفيذ مقاصده العدوانية.. ولا ريب أن ذلك الاستنكار حق وعادل...

ولكن إذا كان ذلك شأن منظمة التحرير الفلسطينية – وهي ليست دولة ولم تكن دولة في يوم من الأيام – فكيف استطاع الرافضون العرب أن ينكروا ثم يحاولوا التدخل في شئون السيادة والاستقلال الوطني المصريين وفرض وصايتهم على مصر؟! ومصر هي أقدم دول العالم بنظامها الوطني التليد ومصدر حضاراته القديمة والحديثة، وأكثر الدول العربية عددا وأقواها عدة!!

ومما يستوقف النظر كذلك استنجاد السيد ياسر عرفات في محنة فلسطين الحالية بالقمة العربية، واستجارته بالوحدة العربية... فالقمم العربية لم تنجد فلسطين من أي من نكباتها السابقة.. بل تصاعدت نكباتها على آثار كل منها.. وكانت أحدثها النكبات المتصلة في الأردن وسورية وأرجاء لبنان ثم جنوبه.. والوحدة العربية – التي لم تتحقق ولم تقترب من التحقيق يوما من الأيام – قد أصبحت اليوم حديث خرافة..

وأصبحت كلمات الرئيس السوفيتي بريجنيف والرئيس الألماني الشرقي هونيكر ورئيس حكومة فيتنام الشمالية فام فان دونج وغيرهم من رؤساء البلاد الشيوعية – هي الكلمة

الفذة فى سياسة الرافضين العرب ومناهجهم فى الداخل وفى مجال الدولية . . . وها هى ذى الآن الدول العربية تتقاتل بيانات بعضها عن بعض : سياسة ومنهجا وهدفا .

□ □ □

ولا ريب أن حركة الرفض العربية قد انتهت واقعا وعملا وانحصرت الآن فى بؤرتها الأولى الإرهابية الدولية . . لكن المحللين السياسيين ، والمؤرخين على آثارهم ، يقفون حيرى لا يجدون تأويلا لقيامها فضلا عن انساعها . . وكيف تستطيع حركة يقودها معمر القذافى بتناقضاته ونزواته أن يجد المحللون لها تأويلا ؟ !

إنها تناقضات ونزوات يروى عجائبها فى هذه الأيام ياسر عرفات وصلاح خلف – أو أبو عمار وأبو إياد – وغيرهما من زعماء فلسطين . وهى تظهر وتختفى فى مختلف المواقف لزعيم الرافضين ونظرياته . . وقد ظهرت أخيرا فى مواقفه من الإرهاب الحكومى الإيرانى . . . ومن محاولاته من الاعتداء على السفارة الأمريكية بطرابلس ومؤازرة الخمينى إلى الاعتذار إزاء التحريض ودعم العلاقات الليبية الأمريكية . . كما ظهرت فى تطرفه البالغ فى أسعار البترول وانفراده بسعر لم يقدر عليه المتطرفون . .

ومن هنا يأتى الحرص على الاستطاعة فى كشف الأسباب والعلل . . . ورغم كل ما كتبته حركة الرفض العربية ، فإنها لا تزال بحاجة إلى المزيد . . وأغلب الظن أن حديثها لن يتوقف حتى يعود الرافضون إلى قاعدة العروبة سالمين .

□ □ □

فالحكومات العربية الرافضة قد سارت فى طريق غير مسبوق . . وسارت على درب القذافى من قبلها ، ودرب الخمينى من بعدها . . لقد قامت منفردة من جانبها ، وفى غيبة الحكومة المصرية وبغير مباحثة سابقة معها – قامت بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع مصر . . كما نقضت بذات الأسلوب الاتفاقات المبرمة معها ، وتوقفت عن الوفاء بالالتزامات المترتبة عليها . . ولقد تآمر الرافضون الأولون فى هذا خدمة مخطط أجنبى عدوانى على الأمة العربية . . . وأوقعوا فى حبائلهم العديد من الحكومات العربية . .

وبلغ العدوان على أعمال السيادة والاستقلال المصريين أقصى المدى . . . وذلك حين اتخذت الإجراءات الشاذة ضد مصر تحديا لإرادة الشعب المصرى الإجماعية ، وانعقاد التعبير عنها فى استفتاء شعبى عام . . . على حين لم تستفد أية من الحكومات العربية الرافضة شعبيا فيما أقدمت عليه من أعمال انتقامية ثانية ضد الشقيقة الكبرى كما يسمونها . . .

وجاءت التصرفات الرافضة أعمالا لا نظير لها فى العلاقات الدولية بهذه القومية . . فهى لا تحدث إلا فى أحوال الحرب والنزاعات المسلحة بين الدول . . بل إن الحرب والنزاعات المسلحة أصبحت تقع ولا تتخذ معها مثل الإجراءات التى اتخذها الرافضون العرب ضد مصر العربية . . . فالقاعدة للعلاقات الدولية المعاصرة هى تحرى الحفاظ على وسائل

● هوارى بومدين . . حضر مؤتمر الرفض فى طرابلس تأييدا لموقفه فى حرب الصحراء

الاتصال وجسور التفاهم . مهما اشتدت الأزمات وتعقدت المنازعات المسلحة وغير المسلحة . . .

□ □ □

ولم تقابل مصر العدوان بالعدوان وهى القادرة عدة وعددا . . . إنما أكدت روابطها العربية : انتماء ومصيرا . . وحرصت على تنبيه أشقائها إلى الخاطر قبل وقوعها ، وتحذيرهم من المتآمرين عليهم : سواء من داخلهم أو من جوارهم أو من بعيد عنهم . . كما ظلت تؤكد حرصها على حمل مسئوليتها القومية ، وعلى المساعدة الدفاعية لأشقائها فى صد أى عدوان عليهم . . وذلك إيمانا بوحدة الأمن الإقليمى والمصير العربى . .

□ □ □

ولقد استقرت اليوم قواعد السلام فى الشرق الأوسط . . . وتكشفت جميع الحقائق وظهرت المكاسب والخسائر والمخاطر . . ولم يعد بد من العودة العربية إلى كلمة سواء . . وليسوا ليلوغ هذه الغاية المنشودة . يحق لنا أن نذكر أشقاءنا ونتذكر معهم ، وأن نتساءل جميعا فى إخلاص وتجرد :

– كيف كنا قبل مبادرة السلام ، وكيف أصبحنا بعدها ؟

– وكيف كان الرافضون فى بداية حركتهم لنهاية عام ١٩٧٧ ؟ ! وكيف أصبحوا فى هذه الأيام ؟ !

□ □ □

لقد كانت أحوال العالم العربى فى عام ١٩٧٧ تنذر بالقضاء على الآثار الكبرى للعبور العظيم فى عام ١٩٧٣ . . بل إن الدعائم الصلبة التى أرستها مصر فى أعقاب أكتوبر المجيد هى التى حالت دون هذا القضاء . وأعنى بها فض الاشتباك المصرى الأول والثانى ، وفض الاشتباك السورى ، والفتح

● سيروس فانس . . نعى الشهيد يوسف السباعى فى أسى

التاريخى الجديد لأعظم الممرات الملاحية العالمية ، واستقرار القوات المصرية شرق القناة . .

فلقد كانت ، ولا تزال ، حروب لبنان والصحراء الغربية والقرن الأفريقى تشغل العالم العربى والعالم أجمع . . وكانت أعمال بعض الحكومات العربية تقسم الفلسطينيين إلى جبهات متصارعة داخل لبنان وخارجها . . وكانت حربها ضد شعب فلسطين وقضيته تضعف الموقف الفلسطينى خاصة ، وتستبد بالقوى العربية المتصارعة والمتشرذمة عامة . .

لكن الرئيس السادات تحدى هذه الموانع الثانية العربية جميعا . . ومضى فى جهود السلام من موقع النصر العسكرى ، والتأييد الدولى المتصاعد لمناهجه السياسى . . .

ومن أجل الأهداف المصرية القومية المشتركة ، ومن أجل فلسطين خاصة – زار الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا الاتحادية فى أوائل إبريل (نيسان) عام ١٩٧٧ . . . ونال تأييدها وتأييد سائر الدول الغربية للموقف العربى والحقوق الوطنية الفلسطينية . . كما نال تأييدها لما أعلنه من أن عام ١٩٧٧ يجب أن يكون عام الحسم فى الحل العادل للنزاع العربى الإسرائيلى . . .

وقد تضمن البلاغ المصرى الأمريكى المشترك عقب زيارة الرئيس المصرى العربى لواشنطون حينذاك : « أن الرئيسين السادات وكارتر تبادلا الآراء حول القضايا الأساسية لأزمة الشرق الأوسط . . وأكد الرئيس كارتر مرة أخرى تصميمه على بذل المساعى لتسوية هذه الأزمة . . »

وتم الاتفاق فى هذه الرحلة مع أمريكا وسائر الدول الغربية الصديقة على تصور كامل لحل النزاع العربى الإسرائيلى حلا عادلا ، وأن يشمل حل قضية فلسطين من جميع جوانبها . . كما تم الاتفاق على الدعوة إلى عقد مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الأوسط فى النصف الثانى من عام ١٩٧٧ . وأن تحضره جميع الأطراف العربية المعنية وإسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية . وذلك بإشراف الأمم المتحدة ومشاركة

● بريجنيف .. أصبحت كلمته نافذة فى سياسة الرافضين العرب.

● برونو كرايسكي .. أكد متابعة جهوده لتأييد قضية فلسطين

● حافظ الأسد .. نظم صفوف جبهة الرفض

الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .. وسجلت هذه الرحلة التحولات الأمريكية العربية الآتية:

١ - التأكيد على أن الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ والحدود الدولية مبدآن معترف بهما ومن المتعين احترامهما..

٢- تأييد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفى مقدمتها حقه فى إقامة وطن قومي .. والتسليم بتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية له وفق المفهوم العربي..

٣ - تقرير أن ترتيبات الأمن لا تعني أي توسع إقليمي لأي من أطراف النزاع، وأن السلام لا يكفل إلا بتوفير الأمن والعدل لجميع الأطراف المعنية.

وعلى هذه المبادئ التقت دول المواجهة العربية وسائر الدول العربية المعنية .. وفى سبيل هذا الهدف زار السيد حسني مبارك نائب الرئيس المصري .. على أثر هذه الرحلة، سبع عشرة دولة عربية وأجنبية .. وقد ظهر فى هذه الزيارات والاتصالات التي صاحبتها وأهمها الحرص المصري على وحدة الموقف العربي، وكسب التأييد الدولي وفى مقدمته تأييد القوتين العظميين .. ولخص السيد حسني مبارك الموقف كما يلي:

١ - إن جولته تتفق مع الاتصالات التي يقوم بها بعض الملوك والرؤساء العرب .. وخاصة رحلة الرئيس حافظ الأسد لموسكو .. والملك حسين لواشنطون .. واجتماع الأمير فهد بالرئيس كارتر .. ولقاء سايروس فانس مع جروميكو ...

٢ - إن التنسيق تام بين دول المواجهة العربية والدول الداعمة وإن النتائج إيجابية ومشجعة.

٣ - إن القادة العرب يسيرون فى الخط الصحيح وفق متطلبات المصلحة العليا المشتركة ...

• • •

وفى نطاق الجهود المصرية الدافعة لمسيرة السلام العادل، زار الدكتور برونو كرايسكي مستشار النمسا القاهرة فى مايو (أيار) عام ١٩٧٧ .. وأكد متابعة جهوده لتأييد قضية فلسطين .. ومثل ذلك زار القاهرة الرئيس الروماني شاوشيسكو ..

وبدا حينئذ، وفى جو الوفاق العربي والدولي، أن مؤتمر جنيف للسلام أصبح وشيك الانعقاد بعد أيام معدودات أو ثلاثة أسابيع فى أوسع التقديرات ...

• • •

لكن القوى المعادية الأجنبية، وقوى العمالة والهزيمة الداخلية — أعادت حساباتها، وتأكد لها من جديد أنه لا بقاء لها فى عهد السلام والحرية والبناء .. وبدأت من جديد تدور فى دائرة التعطيل المتعمد المفرغة .. وهى الدائرة التي رسمتها منذ أكتوبر الخالد عام ١٩٧٣ ...

وبلغت قمة الفرصة الذاتية للرافضين العرب فى نهاية أكتوبر عام ١٩٧٧ .. وذلك حين أكرهت منظمة التحرير الفلسطينية على النكوص عن مواقفها على المشاركة فى مسيرة السلام وانتهاز فرصتها التي قلما يجود الزمان بمثلها ..

وفى جو اليأس المنذر بالعودة إلى ما قبل العبور العظيم، وإلى حالة اللاحرب واللاسلم الاستنزافية — جاءت المبادرة التاريخية بزيارة السادات للقدس، والاندفاع المصري العالمي الباهر نحو السلام العادل والتحرير الشامل ..

واجتمعت جبهة الرفض العربية بطرابلس فى نهاية عام ١٩٧٧ .. ينظمها الاتحاد السوفييتي ويدعو لاجتماعها العقيد معمر القذافي .. وتكره منظمة التحرير الفلسطينية على التحالف مع الإرهاب، وينتظم فى صفوفها كل من حاكم سورية حافظ الأسد، والأداة العربية للشيوعية الدولية عبد الفتاح إسماعيل .. وأعلنت الحرب على السلام ومصر وفلسطين والروابط والمصالح العربية المشتركة جميعا.

وتوسعت دائرتها من بعد ذلك فى قمة بغداد فى نهاية عام ١٩٧٨ .. وظلت تمارس الإجراءات العدوانية ضد مصر منذ مارس الماضي وطوال ثمانية أشهر ...

وكان هدفها هو تعطيل مسيرة السلام المصرية، وإكراه مصر على التخلي عن ثمرات الانتصارات الكبرى العسكرية والسياسية، وعن إرادتها الوطنية الإجماعية، وعن المصالح العربية العليا المشتركة ...

• • •

وانتصرت قوى السلام والتحرير والبناء .. وانهزمت عوامل العداء والاحتلال والتخريب ..

ولقد أدت مصر فى جميع المراحل واجبها أروع ما يكون الأداء الوطني ..

ولقد التزمت دائما بمسئوليتها العربية أعظم ما يكون الالتزام القومي ..

وما زلت أرجو أن يرتفع جميع المسئولين العرب إلى مستوى المسئولية فى مواجهة الأخطار المحدقة بأمن منطقتنا والسلام العالمي ..

وما زلت أرجو أن يؤدي كل عربي واجبه، وأن نلتقي جميعا على كلمة سواء .. كلمة العروبة والإسلام .. كلمة السلام والعدل والحرية والبناء .. ■